كلود كاهن

Claude Cahen

(١٩٠٩-١٩٩١م)

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب - جامعة الشارقة

الملخص:

يعد المؤرخ الفرنسى البارز كلود كاهن رائدًا فى دراسة تاريخ الحروب الصليبية؛ حيث أصدر عدة دراسات تناولت العلاقات بين الشرق والغرب خلال تلك الحقبة.

هذا البحث يسلط الضوء على رؤية للحرب العالمية فى العصور الوسطى وأعني بها الحروب الصليبية.

Abstract:

Claude Cahen, the Outstanding French historian, has a leading role in the Studying of the crusades. He published several studies dealing with the relations between east and West during that vital epoch.

This paper focuses on Claude Cahen Viton towards the universal war in the Middle Ages which is mean the crusades.

كلود كاهن

Claude Cahen (١٩٠٩-١٩٩١م)

يتناول البحث بالدراسة تعريفًا بالمؤرخ الفرنسي الرائد والبارز كلود كاهن ورؤيته لصلاح الدين الأيوبي.

ولد المستشرق اليهودي الفرنسي المذكور في ٦ فبراير ١٩٠٩م، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٧م)، وقد درس في ليسيه باريس لوجران، ومن بعد ذلك التحق بمدرسة المعلمين العليا، وبالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، وبكلية الآداب – جامعة باريس، وقد تمكن من الحصول على شهادة الأجريجاسيون في التاريخ وأنجز أطروحته للدكتوراه عام ١٩٤٠م وموضوعها :

La Syrie du nord a l'époque des Croisade et la principauté Franque d'Antioche

أي: سوريا الشمالية في مرحلة الحروب الصليبية، وإمارة أنطاكية الفرنجية.

عُين مدرسًا في ليسه أميان Amiens خلال الأعوام ١٩٣٢ إلى ١٩٣٣م، ثم في ليسيه روان Rouen من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٠م، ومن بعد حصوله على الدكتوراه تم تعيينه أستاذًا في جامعة ستراسبورج من حصوله على الدكتوراه عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٥٩م، ثم صار أستاذًا في السوربون من عام ١٩٥٩إلى عام ١٩٧٩م [١].

تولي كلود كاهن رئاسة تحرير مجلة :

Journal of Economic and Social History of Orient.

أي مجلة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمشرق، كذلك صار رئيسًا للجمعية الآسيوية فما بين عامي ١٩٧٤،١٩٨٥م، كما انتخب عضوًا في معهد فرنسا Insitut de France، على نحو دل على مكانته العلمية الرفيعة في الأوساط الفرنسية.

أجاد المستشرق البارز المذكور عدة لغات كاللاتينية، والعربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، والألمانية على نحو انعكس على مؤلفاته العلمية القيمة. اتجه إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي الفرنسي فيما بين عامي ١٩٣٠إلى١٩٦٠م، وعلى الرغم من يهوديته إلا إنه لم يدعم الكيان الصهيوني في فلسطين، وأشرف على العديد من الطلاب العرب مثل أ. د أحمد عبد الرازق وأ. د. صلاح بحيري وغيرهما.

توفى المستشرق المذكور في يوم ١٨ نوفمبر ١٩٩١م عن عمر بلغ ٨٢ عامًا، وكان قد فقد بصره من كثرة مطالعة المخطوطات العربية التي عشقها.

أصدر كلود كاهن العيد من الإصدارات نذكر منها:

عن مؤلفات كلود كاهن انظر:

1- Islam, Paris 1971.l,eroque

الإسلام، ط باريس ١٩٧٠م.

2- La Syrie du nord a le poque des Croisades et La principauté Franque d'Antioche, Paris 1940.

سورية الشمالية في مرحلة الحروب الصليبية وإمارة انطاكية الفرنجية، باريس ١٩٤٠

3- Orient et Occident au Temps des Croisades, Paris 1983.

الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية،ط. باريس ١٩٨٣م.

4- Les Peuples Musulmans dans l, histoire médiévale Damans 1977م.

الشعوب الإسلامية في التاريخ الوسيط.دمشق ١٩٧٧م.

5-Turco –byzantine et Orient Chrétien ,London ,Variorum reprint 1974.

الترك والبيزنطيين والشرق المسيحي، لندن، فاريورم،ط. ١٩٧٤م.

6- Claude Cahen ,"La Campagne de Mantzikert d'après Les musulman "B.IX,1934 ,PP.613- 642.

كلود كاهن، معركة مانزكرت من خلال المصادر الإسلامية، مجلة بيزانتيون، العدد ٩، عام ١٩٣٤م، الصفحات من ٦١٣ إلى ٦٤٣.

7-"Le Diyer Bakr au Temps des premiers urtukides ",J.A.CCXX II,1933,PP.219-279.

ديار بكر في زمن الأراتقة الأوائل، الجريدة الأسيوية، العدد ٢٢٧، عام ١٩٣٥، الصفحات من ٢١٩ إلى ٢٧٩.

8- " La première infiltration turque en Asie Mineure", la seconde moitié de l'athée siècle, n ° 18, 1948, pp 5-67.

التسلل التركي الأول في آسيا الصغرى، النصف الثاني من القرن الحادي عشر، العدد ١٨، عام ١٩٤٨م، الصفحات من ٥ إلى ٦٧.

9-" Notes sur l, histoire des croisades et d'Orient latin: 1.En quoi la Conquête Turque appellera -t- La croisade ?" B.F.L.U.S.XX IX,1950-1951,PP.118-125.

مذكرات على الحروب والشرق اللاتيني :١- إلى أي مدى أدي الغزو التركي إلى دعوة الحملة الصليبية؟، مجلة كلية الآداب- جامعة ستراسبورج، العدد ٢٩، عام ١٩٥٩م، الصفحات ١١٨-١٢٥.

10-" Notes sur l, histoire des croisade et d'Orient latin: 2-le régime rural Syrien au Temps de la domination Franque" ,B.F.L.U.S,XXXIX, 1950-1951 , pp 282-310.

مذكرات على الحروب الصليبية والشرق اللاتيني :٢ الريف السوري في زمن السيادة الفرنجية، مجلة كلية الآداب – جامعة ستراسبورج، العدد ٢٩ عام ١٩٥٠–١٩٥١م، الصفحات من ٣٨٢– ٣١٠.

11- Notes sur l, histoire des croisade et d'Orient latin :3- Orient latin et Commerce du Levent,B.F.L.U.S,XXXIX,1950-1951.;328- 346.

مذكرات على الحروب الصليبية والشرق اللاتيني :٣– الشرق اللاتيني وتجارة شرق البحر المتوسط "، مجلة كلية الآداب – جامعة ستراسبورج العدد ٢٩ عام ١٩٥٠– ١٩٥١م، الصفحات من ٣٢٨– ٣٤٦.

12- "Commerce anatolien et début du XIIIe siècle," in Mélanges de Histoire du Moyen Age, dédies a la mémoire de Louis Halphen ed Charles E. Perrin, Paris 1951, pp. 91-101.

" التجارة الأناضولية عند مطلع القرن الثالث عشر الميلادي " في الكتاب التذكاري لتاريخ العصر الوسيط، مقدم لذكرى لويس هالفن، نشر شارلز أي بيرين،ط. باريس ١٩٥١م، الصفحات من ٩١ إلى ١٠١.

13-" Pour l'histoire des Turcomanes d, Asie Mineure au XIIIe siècle, la Gazette asiatique No. 339 en 1951, pp 325-354.

من أجل تاريخ التركمان في آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر الميلادي، الجريدة الآسيوية العدد ٣٣٩ عام ١٩٥١م، الصفحات من ٣٢٥– ٣٥٤.

14- L'évolution de L,iqtaa du IXème au XIII eme siècle d,un Histoire Comparée des sociétés médiévales Annales: économiques sociétés Civilisations 1953,PP.25-52.

تطور الإقطاع في القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الميلادي: دراسة التاريخ المقارن لمجتمعات العصور الوسطى الحوليات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية، عام ١٩٥٣، والصفحات من ٢٥ إلى ٥٢.

15- "Notes sur les de butes de La Futuwwa d,au de Nasser O.VI,1953,PP18-22.

مذكرات من بداية فتوة الناصر، مجلة أورينز، العدد السادس، عام ١٩٥٣، الصفحات من ١٨ إلى ٢٢.

16- Introduction to the first Crusade, , p.p., 1954,No6,pp.6 - 29.

مدخل إلى الحملة الصليبية الأولى، مجلة الماضي والحاضر،ط. عام ١٩٥٤م،م٦ الصفحات٦ -٢٩.

17- "l,Islam et la croisade, les Relazioni del congres su internationale di cienze STO riche ,Rome1953:3 Soria del moyen evo Florence 1955, pp.625 à 635.

"الإسلام والحروب الصليبية"، أعمال المؤتمر الدولي العاشر لعلم تاريخ روما ١٩٥٥م، ٣، تاريخ العصر الوسيط ، ط. فلورنسا ١٩٥٥م، الصفحات من ٦٢٥ إلى ٦٣٥.

18- " La de Féodalité et les Institutions politiques de l'Orient latin et Occidentale medio Ero, Rome 1957,pp. 167 à 191

الإقطاع والنظم السياسية للشرق اللاتيني، في الشرق والغرب في العصر الوسيط ١٩٥٧م، الصفحات من ١٦٧ إلى ١٩١.

19- Le première cycle de le croisades, M.A.,LVII,1957,pp 612-328.

القرن الأول من الحروب الصليبية، مجلة العصر الوسيط العدد ٦٢،عام ١٩٥٧م، الصفحات ٣١٢– ٣٢٨.

20-"Les mouvements populaires et l'indépendance urbaine en Asie musulmane au Moyen-Age", Arabica, n ° 5 1958,. PP.225-250 ,1959, Et 233-250

الحركات الشعبية والاستقلال الحضري في آسيا المسلمة في العصر الوسيط، أرابيكا، العدد٥ عام ١٩٥٨م، الصفحات من ٢٢٥ إلى ٢٥٠، العدد ٦، عام ١٩٥٩ م، الصفحات من ٢٣٣ إلى٢٥٠.

21- douanes et du commerce dans les ports la Méditerranée de égypt. Médiévale d, près le Minhadj d, al Makhzoumi, J.E. S.H.O.,VII ,1964,PP.217 à 314.

الجمارك والتجارة في الموانئ المصرية المطلة على البحر المتوسط في العصر الوسيط من خلال كتاب المنهاج للمخزومي، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عدد ٥،عام ١٩٦٤م، الصفحات من ٢١٧ إلى٣١٤.

22- pré- ottoman Turkey: a general of survey of Material spiritual culture 1071- à 1314.Tr.J.J. Jones - William, New York 1968.

تركيا ما قبل العثمانيين مسح عام للثقافة المادية والروحية من عام ١٠٧١– ‘إلى ١٣١٤م.تحرير ج ج جونز –وليام نيويورك ١٩٦٨م.

23- La politique Orientale des Comtes des Flandre et la Lettre Alexis Comnence, mélanges de islamologue Volume dédie a la mémoire de Armand Abel ed. Pierre, Salmon i. Leyden 1971, pp. 84 à 90.

السياسة الشرقية لكونتات الفلاندر وخطاب الكسيوس كومنين، الكتاب التذكاري الإسلامي، جزء مهدي لذكرى أرماند ابل، نشر بيير سالمون، ط. ليدن ١٩٧١م، الصفحات من ٨٤ إلى٩٠.

24- Turco Byzantins et l'Orient chrétien, i. Londres 1974.

الترك البيزنطيون والشرق المسيحي،ط. لوندرز ١٩٧٤م.

25- Amalfi en Orient a Ville ,au moment et au Lendemain de la Première Croisade", in Amalfi mèl medio evo, ,Salerno 1977, pp. 84 à 90.

أمالفي في الشرق تاريخ حاضرة في وقت الحملة الصليبية الأولى وفيما بعد ما، ضمن كتاب أمالفي في العصر الوسيط، ط. سالرنو ١٩٧٧، الصفحات من ٨٤ إلى٩٠.

26- Le commerce Amalfi dans le Proche-Orient Musulman avant et après la première croisade C.R.I.B.L., 1977, pp. 291 à 300.

تجارة أمالفي في الشرق الأدنى الإسلامي فيما قبل وبعد الحرب الصليبية الأولى ضمن كتاب التقرير العالمي لأكاديمية النقوش والآداب، عام ١٩٧٧م، الصفحات من ٢٩١ إلى٣٠٠.

من أهم مؤلفات كلود كاهن في مجال الحروب الصليبية، كتابه: أي الشرق والغرب في عصر الحروب الصليبية، باريس ١٩٨٣م.

Orient et Occident au Temps des croisades ,paris 1983.

أعتمد في دراستي عن رؤيته لصلاح الدين الأيوبي وإنجازات المسلمين تحت قيادته عند دراستنا لرؤية المؤلف الفرنسي البارز كلود كاهن لصلاح الدين الأيوبي، نلاحظ أنه خصص عنه فصلًا مستقلًا [٢] مما دل على أهميته المحورية في ذلك العصر.

لقد ذكر عنه ما نصه: " إن شخصية صلاح الدين هي أكثر شعبية من بين الشخصيات الإسلامية إبان الحروب الصليبية، نظرًا للأهمية التي كانت لسياساته، والتي لم تشهدها سياسة نور الدين، والتي انتهت باستعادة القدس، وتفكيك الشرق اللاتيني، ومقاومة قادة الحملة الصليبية الثالثة؛ ولأن الحظ قد حالفه، ولتوفره بلا شك على مهارة العثور على مؤرخين كبار يشيدون به؛ ولأن الصليبيين قد حملوا عنه في أذهانهم حتى في الغرب ذاته صورة ستجعل منه شيئًا فشيئًا بطل رواية أصلية في الغرب المسيحي، وأخيرًا؛ وربما لأنه كان كرديًّا وليس تركيًّا، ويبدوهذا التعليل لدي المحدثين بشكل غامض، لكل هذه الأسباب أريد وضعه في مواجهته نور الدين لنموذج المعركة من أجل العقيدة بخلاف التركي الذي ربما لم تكن الحروب المقدسة بالنسبة إليه إلا ذريعة لخدمة طموحاته "(٣).

واقع الأمر من الممكن الرد على الفقرة المذكورة من خلال التالي:

أولًا: المقارنة ما بين صلاح الدين الأيوبي ونور الدين محمود، والتي حرص قطاع من المستشرقين على القيام بها، ليست موضوعية، لأن كلًّا منها كانت له ظروفه التاريخية، والإنصاف يدعونا إلى القول بأن نور الدين محمود تمكن من الوصول إلى مرحلة توازن القوي بين المسلمين والصليبيين وهي أساسية من أجل الوصول إلى الإنجاز الكبير الذي حدث في عهد تلميذه صلاح الدين الأيوبي، وفي حالة عدم وجود المرحلة المذكورة، ما كان من الممكن فتح بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م في أعقاب حطين في ٤ يوليومن العام المذكور.

ثانيًا: جانب كلود كاهن الصواب عندما تصور فكرة "الحظ" الذي أعان صلاح الدين؛ لأن التاريخ يصنعه الرجال بكفاحهم، ولا توجد زاوية حظ بالصورة التي أوردها.وخطورتها أنها تظهر صناع التاريخ لا يبذلون الجهد الوافر ولا يظهرون الكفاح المستفيد من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لشعوبهم، وهكذا فإن فكرة الحظ فكرة مغلوطة ولا أساس لها من واقع التاريخ.

ثالثًا: القول أنه تمكن بمهارة من العثور على مؤرخين كبار يشيدون به، أمر مغلوط تمامًا؛ لأن المؤرخ الموضوعي لا يستطيع أن يراهن على جواد خاسر، حقيقة كان هناك عدد من المؤرخين البارزين في عصر صلاح الدين مثل بهاء الدين بن شداد [٤] (ت ١٢٢٦م)، والعماد الكاتب الأصفهاني[٥] (ت١٢٠٢م) وهؤلاء أشادوا به، ولكن لا ننسي وجود مؤرخ معارض له في صورة ابن الأثير (ت١٢٣٢م)، إذن القضية ليست وجود مؤرخين رسميين يشيدون به، بل هناك من عارضه حتى من المسلمين الذين عاصروه، إلى جانب ذلك علينا ألا نغفل المؤرخ الصليبي وليم الصوري [٦] William of Tyre (ت١١٨٦م) نفسه،وقد أشاد به ووصفه بأوصاف إيجابية لم يقلها عن الملك عموري نفسه المعاصر له، حيث ذكر عنه أنه حكيم، ذكي، حذر، يملك روح المبادرة وكريم إلى درجة السخاء.

رابعًا: حرص قطاع من المستشرقين على بذر بذور الفتنة بين عناصر المسلمين من خلال إثارة الجانب العنصري، وهوأمر يتضح تمامًا عند مطالعة ما أورده كلود كاهن، حيث تحدث عن نور الدين محمود كتركي، وعن صلاح الدين الأيوبي عن اعتبار كونه كرديًا !!، والواقع يؤكد أن حضارة الإسلام انصهر فيها الجميع ولا يمكن أن نغفل جهاد الأتراك، وكذلك الأكراد والعرب في جهاد الغزوالصليبي دون تمييز أوتفضيل عنصر على آخر؛ لأن ذلك من شأنه تفكيك الأمة، وبعثرتها وإيجاد تصارع وتناحر بين عناصرها.

خامسًا: حاول كلود كاهن الإساءة إلى نور الدين محمود، وتصوره على أنه كان يحارب الصليبيين لمصلحته الشخصية وخدمة لطموحاته، بينما كان صلاح الدين كان يدافع من أجل العقيدة !!.

واقع الأمر أن نور الدين محمود من أكثر المجاهدين المسلمين الذين تولوا الدفاع عن الإسلام، وليس من أجل طموحاتهم الشخصية كما ادعي ذلك المستشرق الفرنسي،

ويكفي للتدليل على الجانب الديني في شخصيته ما ذكره المؤرخ الصليبي وليم الصوري الذي وصفه بأنه أمير عادل مراع لتقاليد دينه[٧].وشهادة الأعداء تجب كل شهادة.

من ناحية أخرى أقر المؤرخ الفرنسي البارز نيكيتا إليسيف Nikita Elisseeff؛ وهوالباحث الغربي الذي يعد المتخصص الأول في الغرب في تاريخ نور الدين محمود، وأعد عنه أطروحته للدكتوراه [٨]، أقر بأن الجانب الديني كان أساسيًا في توجهات نور الدين محمود الجهادية ضد الصليبيين.

من ناحية أخرى، أشار كلود كاهن إلى عصر صلاح الدين قد شهد تأليف مؤلفات في الجهاد، وفي فضائل المدن، وهذه حقيقة مؤكدة لها دلالتها التاريخية العميقة وكان الهدف من وراء ذلك إثارة الشعور الديني لدى المعاصرين، ومن أمثلة ذلك تأليف القاضي بهاء الدين بن شداد (ت ١٢٢٦م) كتابًا في الجهاد بطلب من صلاح الدين شخصيًا[٩] كذلك هناك مجد الدين الحلبي (ت١١٧٣م)، حيث ألف كتابًا عن فضائل الجهاد [١٠]، كما ألف ابن عساكر (ت١١٧٦م) كتابًا في أربعين حديثًا في الحث على الجهاد[١١].

أما فيما يتصل بكتب الفضائل، فقد تم التأليف فيها ؛ كي يدرك المعاصرون أهمية المدن التي خضعت للاحتلال الصليبي وضرورة استعادتها لعالم الإسلام، خاصة بيت المقدس، وحتى تكون الدعوة لتحريرها بها من قبضة الغزاة بمثابة قضية حياة أوموت بالنسبة للمسلمين، ومن أمثلة هذه المؤلفات ما ألفه ابن عساكر (ت١١٧٦م) المعاصر لصلاح الدين الأيوبي تحت عنوان رسالة في فضائل بيت المقدس[١٢]، ويلاحظ ان تلك المدينة المقدسة استأثرت بالعديد من المؤلفات في المجال المذكور.

زد على ذلك أشار كلود كاهن إلى أن عصر صلاح الدين؛ ظهر فيه التأليف في مجال الأسلحة، واستشهد بذلك فيما ألفه الطرسوسي (ت١١٩٣م) تحت عنوان "تذكرة أرباب الألباب" وهي التي حققها المستشرق الفرنسي نفسه [١٣] ضمن سعيه لتحقيق مصادر تاريخية مخطوطة من العصر الأيوبي (١١٧١–١٢٥٠م) الأمر المؤكد أن ذلك العصر

شهد اهتمامًا بالأسلحة؛ نظرًا للطبيعة الحربية للصراع الإسلامي – الصليبي، وقد حدث تسابق وتنافس تسليحي بين المسلمين والصليبيين، بل وجد اتجاه لابتكار أسلحة جديدة كما حدث خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩- ١١٩٢م)، وهو أمر أورده ابن شداد عندما تحدث عن ابتكار مادة حارقة لإحراق الأبراج التي نصبها الغزاة لإسقاط عكا.(١٤) خلال أحداث صراعها الطويل (١١٨٩-١١٩١م) كذلك، تعرض كلود كاهن لحملة الفارس الصليبي رينودي شاتيون المعروف في المصادر العربية بأرناط التي وقعت عام ١١٨٣م، وفي ذلك قال:" في زمن صلاح الدين حدثت من الجانب الفرنجي حملة البحر الأحمر التي أذهلت خيال الناس، وهي من تنظيم رينوالشاتيوني الذي كان حينذاك سيدًا إقطاعيًا على الكرك في شرق الأردن باتجاه الأماكن الإسلامية المقدسة، وكان يحلوللبعض أن يرى في هذه الحملة تجسيدًا للرغبة في منازعة المصريين واليمنيين احتكار التجارة بالبحر الأحمر وهذا منحي جديد عن التأويل.. وإذ لا يمكن أن نتوقع من رينوالذي بدأ مسيرته في الشرق بالقيام بعملية سطوضد القبرصيين الذين لم يفعلوا له شيئًا يبرر ذلك. إلا إن يقوم بعملية نهب جديدة تكون أكثر تهورًا !!، وقد انتهت بإعدام كل المشاركين في هذه العملية، وقام صلاح الدين بنفسه بقتل رينوحينما وقع في يده" (١٥)

من الجلي البين أن المؤرخ الفرنسي المذكور، يقدم عرضًا دعائيًا عن رينودي شاتيون الفرنسي، ويبالغ بصورة فجة عندما يصف العملية المتعصبة الخرقاء التي قام بها، على أنها أذهلت خيال الناس، وهوأمر يخالف الواقع التاريخي؛ إذ نال ذلك الفارس المتعصب عداء وكراهية واحتقار عشرات الملايين من المسلمين في المنطقة، وتأكد للجميع أن الغزوالصليبي يعلن عن تحرير الأراضي المقدسة في فلسطين، بينما الواقع يؤكد رغبة الغزاة في ضرب الإسلام في عقر داره في الحجاز وتكوين" إمبراطورية" لهم على حساب أملاك المسلمين.

يلاحظ هنا أن نفس المؤرخ الذي وصف تلك الحملة بالوصف المشار إليه، عاد ليصفها بأنها عملية نهب جديدة تكون أكثر تهورًا، وبذلك تناقض مع نفسه في

فقرة واحدة، مما أكد عدم موضوعيته في تناول حملة ذلك الفارس المتعصب ضد المحارم الإسلامية في الحجاز.

يضاف إلى ذلك إشارته إلى أن صلاح الدين قتل أرناط عندما وقع في يده وهومسلك منطقي وطبيعي تمامًا؛ لأن ذلك الفارس لم يرتدع لأي قانون أوأي معايير أخلاقية ومن قبل ارتكب مذبحة أخلاقية في قبرص ضد الرهبان المسيحيين أنفسهم، حيث سامهم العذاب وقطع أنوفهم، ويعد قرار الفتك به من جانب صلاح الدين قرارًا حكيمًا تمامًا لما أظهره من عدوانية فاجرة ضد أطهر بقاع الإسلام !!.

أما فيما يتصل بمعركة حطين عام ١١٨٧م، فقد أورد عنها ما يلي : " قد حدثت معركة حطين في خريف ١١٨٧م وفيها تم انتصار صلاح الدين وهزيمة الفرنجة، لقد سمحت هذه المعركة لصلاح الدين باحتلال القدس، بانتهازه لاضطراب الفرنجة وتشتت شملهم، ونقص عددهم تم له في بضعة أسابيع احتلال أكبر قلاعهم الكبيرة من الداخل، وحتى الموانئ مما جعله يقطع استمرار خطوطهم الساحلية، وهناك بعض الشك في أن تكون الانقسامات في داخل المعسكر الفرنجي قد ساعدت على حدوث الكارثة وتعاظم نتائجها "[١٦].

كذلك أضاف:" يظهر تاريخ القرن اللاحق أن الفرنجة ظلوا قادرين على المقاومة على الساحل وأنهم مارسوا نشاطًا كبيرًا، ومع ذلك، فإن ميزان القوي ولا ريب جعل من المستحيل بالنسبة لهم منذ تلك الفترة أن يحافظوا على المملكة والإمارات الأخرى في الظروف نفسها"[١٧].

يتسم عرض كلود كاهن للمعركة المذكورة بالدقة والموضوعية، ومع ذلك، من الممكن الاختلاف مع تصوره عندما أوضح أن الخلافات التي عصفت بالصليبيين لم يكن لها تأثير على الأحداث حين ذلك، والواقع أن هزيمة الصليبيين كانت من قبل حطين عندما تصارعوا سويًّا وحدث التناحر في صفوفهم، ومن يطالع الفصول الأخيرة لمؤرخهم البارز وليم الصوري، يدرك بجلاء هذه الناحية، والواقع التاريخي حينذاك يؤكد لنا أن

حطين وضعت حدًا لتنامي الخلافات الصليبية – الصليبية لصالح المسلمين، ولا ننسي أن السقوط دومًا في التاريخ من الداخل قبل الخارج.

من ناحية أخرى اتجه ذلك المؤرخ الفرنسي البارز الذي عرف باهتمامه بالتاريخ الاقتصادي إلى تناول سياسة صلاح الدين الأيوبي في التعاون مع المدن التجارية الإيطالية مثل جنوة Genoa،وبيزا، Pisa والبندقية Venice، على الرغم من عدائهم للمسلمين، إلا إنه أدرك عدم وجود عداءات دائمة أوصداقات دائمة في عالم السياسة، بل هناك مصالح دائمة، وفي ذلك قال :" فيما يخص تجارة البحر المتوسط كان من المتوقع أن يضر المناخ السائد للحرب المقدسة باستمرار العلاقات التجارية مع الغرب أواستئنافها، غير أن متطلبات الحرب المقدسة ذاتها كان بوسعها أن تسير في الحقيقة في الاتجاه المعاكس، فبالنسبة لصلاح الدين كان الخشب الضروري لبناء أسطوله البحري كما كانت الحاجة إلى الحديد والأسلحة ذاتها أشد مما كان عليه الأمر مع سابقيه، ولم يكن في مقدوره أن يحصل على هذه الأمور من الإيطاليين إلا بمنحهم امتيازات كانت من الأهمية بمقدار التشديد المتزايد لمنع هذه التجارة في الغرب.

ونحن على علم بالخطاب الذي أرسله صلاح الدين إلى الخليفة، حيث يتباهى بحصوله من المسيحيين أنفسهم على الأسلحة التي يحارب بها أشقاءهم. (١٨)

هكذا؛ كشف لنا عرض كلود كاهن عن حكمة السلطان الأيوبي الذي تعامل مع ذلك القطاع الحيوي والمهم من الصليبيين من أجل تحقيق هدفه الأسمي في تكوين جيش قوي يملك القدرة على تغيير موازين القدرة في المنطقة لصالحه.

تجدر الإشارة إلى أن البنادقة – على سبيل المثال – كان شعارهم دومًا، نحن تجار أولًا ثم مسيحيون من بعد ذلك، وبالتالي كانت القضية لديهم ليست صليبية، بل مالية في المقام الأول ومثل موقفهم هذا ثغرة في وحدة الصف الصليبي عاد على المسلمين بالدعم والمساندة.

تلك أبرز إشارات المؤرخ الفرنسي كلود كاهن عن صلاح الدين الأيوبي، ومن الممكن خلالها من التوصل إلى أبرز الملاحظات التالية:

أولًا: اتسم عرض ذلك المؤرخ الفرنسي بوجه عام عن صلاح الدين الأيوبي بالموضوعية، وقد عرف قدره بدليل تخصيصه لفصل كامل عنه في كتابه المذكور.

ثانيًا: كالمعتاد ردد آراء المستشرقين التي لاهدف من ورائها سوى إثارة النعرات العنصرية والعرقية، وهو أمر اتضح بجلاء عندما هاجم نور الدين محمود على اعتبار أنه تركي، وامتدح صلاح الدين على اعتبار أنه كردي، بينما الأمور ليست بمثل هذه الصورة الاستشراقية التي لا تخفي أهدافها الماكرة والتي تهدف إلى تمزيق صفوف المسلمين، وإثارة النعرات الطائفية، والعرقية بين صفوفهم.

ذلك عرض عن صورة صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨– ١١٩٣م) لدى المؤرخ الفرنسي كلود كاهن (١٩٠٩– ١٩٩١م).

الهوامش

(١) عن كلود كاهن انظر :عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين،ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٦٠-ص٤٦١، نجيب العفيفي، المستشرقون،جـ١، ص٢٤٢-ص٣٤٣، عادل الألوسي، التراث العربي ونفائس الكتب العربية التي طبعت في الغرب،ط. القاهرة ٢٠٠١م،ص٦٩، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن،ط. القاهرة ٢٠١٠م، ص٢٩٢-ص٢٩٤.

(٢) عن ذلك انظر كلود كاهن :الشرق والغرب في زمن الحروب الصليبية،ت. أحمد الشيخ،ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٨٥ -ص١٩٥.

(٣) نفسه، ص ١٨٥.

(٤) عن بهاء الدين بن شداد انظر :

ابن شداد النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال،ط. القاهرة ١٩٦٤م، مقدمة التحقيق وتحقيق أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ٢٦- ص٣٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، جـ٧، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص٨٥- ٨٧، جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام،ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٧١- ص ٢٧٢، شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون،جـ٣،ط. بيروت ١٩٩٠م، ص١١٤، نفسه، صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفتري عليه،ط. بيروت ٢٠٠٣م،ص٩١-ص ٩٣، محمود الحويري، المؤرخ بهاء الدين بن شداد، حياته ومنهجه، مجلة كلية الآداب – جامعة أسيوط، يناير ١٩٧٨م، ص١٢٩-ص ١٦٣.

(٥) عن العماد الكاتب الأصفهاني انظر :ياقوت الحموي، معجم الأدباء،جـ٦،ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٦٢-ص ٢٦٣، مظفر سلطان، العماد الأصفهاني حياته وأدبه،ط. دمشق ١٩٥١م، نهلة عبد الكريم، العماد الأصفهاني، حياته وآثاره،ط. بيروت١٩٩١م، حسين عاصي، العماد الأصفهاني، عصره، سيرته، حياته، مؤلفاته،ط. بيروت ١٩٩٣م، نظير حسان سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي،ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٩-ص٢٥، ماهر طه سليمان، أدب الحرب عند العماد الأصفهاني، رسالة دكتوراه جامعة مؤتة ٢٠١١م.

D. Richards, Emad al-Din al-Asfahani: Administrators Literature and historian "in Crusader and Muslims in Twelfth century Syria ,ed Maya Shatmiller, Leiden.1993,PP.133-146.

(٦)عن وليم الصوري أنظر :

William of Tyre, A History of Deeds done beyond The Sea, Trans.E.A. Babcock and A.C. Krey ,2 vols.,New York 1943.

R.B.C. Huyens, un chapitre (XIX,12)de Son Historie retrouve, Latomos 21,1962,PP 811-829.

P. Edbury and J.B. Rowe, William of Tyre, Historian of Latin East, Cambridge 1988.

محمد مؤنس عوض وهنادي السيد محمود، المؤرخ وليم الصوري بين رؤيتين عربية وغربية،ط. القاهرة ٢٠١٧م.

(العمل المذكور يعد أول كتاب بالعربية عن مؤرخ الصليبين البارز).

(٧) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ت. سهيل زكار،جـ١،ط. دمشق ١٩٩٩م،ص ٩٦٩، حيث وصفه قائلًا :" كان أميرًا عادلًا وشجاعًا وحكيمًا وكان بالنسبة لمواريثه وشعبه رجلًا متدينًا".

(٨) انظر دراسته:

N. Elisseeff, Nur ad- Din un grand prince musulman au Temps des Croisades, 3 Vols., damas 1967.

(٩) حققه سهيل زكار، عن ذلك انظر :ابن شداد، كتاب الجهاد، تحقيق سهيل زكار، ضمن كتاب أربعة كتب في الجهاد من عصر الحروب الصليبية،ط. دمشق ٢٠٠٦م،ص١٨٣–ص ٢٧٣.

(١٠) عواد الأعظمي، تراث العرب الفكري والعلمي في فلسطين في ظل الحكم الإسلامي، المؤرخ العربي عدد ١٩٧٥م، ص١٦٣.

(١١) صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب،ط. بيروت ١٩٦٠م، ص١١٣.

(١٢) عن ذلك انظر على سبيل المثال :

الواسطي المقدسي، فضائل البيت المقدس، تحقيق إسحاق حسون، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة العبرية، ط. القدس ١٩٧٩م، ص١٢٠، جميل العسلي، محفوظات فضائل القدس،ط. عمان

(١٣) عن ذلك انظر :الطرسوسي، تذكرة أرباب الألباب، تحقيق كلود كاهن، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O، العدد (١٢)، عام ١٩٤٧ –١٩٤٨م

(١٤) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، نقلًا عن وفاء محمد علي،دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية،ط. القاهرة ١٩٩٥م ص٦٠–ص٦١.

(١٥) كلود كاهن، المرجع السابق، ص١٩١.

(١٦) نفسه، نفس الصفحة.

(١٧) نفسه، نفس الصفحة.

(١٨) نفسه،ص ١٨٨.